الكهف والرقيم

في شرح

بسم الله الرحمن الرحيم

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي

المتوفى سنة ٨٣٢ هـ

اعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله الكامن في كنه ذاته، الكائن في عماء غياباته، الكامل في أسمائه وصفاته، الجامع بألوهيته شمل مضاداته، الأحد في سماته، الواحد في تعداداته، المتحيزة أوصافه في استيفاءاته، الأزلي في أبد أخرياته، الأبدي في أزلي أولياته، البارز في كل صورة ومعنى بسوره وآياته، البائن عن كل محسوس ومقول وموهوم ومعقول بيناً غير متباين في بيناته، المتخلق بكل خُلُق في كل خلق من مخلوقاته، المتجلي بصور العالم في إنسانه وحيوانه ونباتاته وجماداته، المتخلي في سرادق تنزيهه عن الفصل والوصول والضد والند والكم والكيف والتجسيم والتحديد والتقييد بتشبيهه أو تنزيهاته، سبوح سبحت أسماؤه في بحار كنهه فغرقت دون الوصول إلى غاياته، متصف بكل وصف، مؤتلف بكل إلف، مجتمع بكل جمع، ممتنع بكل منع، مفترق بكل فرق، مطلق بكل طلق، مقيد بكل تحديد، مقدس منزه في تشبيهاته، لا يحصره الأين ولا يحاز منه، ولا تدركه العين ولا تستر عنه، خالق معنى الخلق عرض على جوهر هو حقيقة ذلك الجوهر ولا عرض يعتريه رازق معنى الرزق. تنزله في رتبة سماها خلقاً ليوفي بها حكم رتبته الأخرى على ما تطلبه الحكمة أو يقتضيه حكم تقديراته، مجهول في حقيقة غيب «كنت كنزاً لم أعرف»[1] بعد تعرفه إلى خلقه بما عرف من تعريفاته، جعل اسم الخلق محلاً لذاته ولا يتعداه، ورسم لاسم الحق حكماً من ذاته لا يفيدك سواه، وحكم لألوهيته جمعها فلم يك مرمىً لغيره وراء الله، لألوهيته الحيطة بأحديته ولأحديته السلطنة على ألوهيته في ترتيباته، تعرف إلى كل موجود بحسب المرتبة التي أبرزه فيها من عينه وما عرفه إلا نفسه في جماله وزينه من

(١) يشير إلى الحديث الشريف: «كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فعرفتهم بي فعرفوني». العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٤)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع مكوناته، أحمده حمده لنفسه من خلف سرادق غيبه الأنهى، وأثنى عليه بلسان جماله الأكمل الأبهى، هو كما أثنى على نفسه لديه، إذ كنت لا أحصي ثناء عليه، واستمد من الجناب الأعظم، غيب غيب الجمع الأبهم، نقطة عين الحرف المعجم محمد سيد العرب والعجم، مركز كنه الحقائق والتوحيد، مجمع دقائق التنزيه والتحديد، مجلى معاني جمال القديم والجديد، صورة كمال الذات، الأزلي التخليد في جنات الصفات، الأبدي الإطلاق في ميدان الألوهيات، ﷺ وعلى آله القادة الهداة، المتحلين بحليته المتحولين في أحواله، القائمين عنه له في مقامه بأقواله وأفعاله، وعلى آله وأصحابه وعترته وأنساله، وشرف وكرم، ومجد وعظم.

أما بعد: فإني استخرت الله تعالى في إملاء هذا الكتاب المسمى: بـ «الكهف والرقيم في شرح: بسم الله الرحمٰن الرحيم» وذلك بعد باعث رحماني وإجابة لسؤال أخ عارف رباني، هو ذو الفهم الثاقب، والذكاء الباهر الراسخ الناسب، والتجريد والتفريد والقدم الصدق في المطالب، عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسن بن علي بعد مدافعتي إياه، وتأخري عن التقدم إلى ما يهواه، فلم يسمع بالإقالة، ولم يجنح إلا إلى ما قاله. بعثني صدق رغبته، إلى موافقته، فاستخرت الله تعالى ولجأت إليه، أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به مليه، والسامعين وقارئيه، وهو الأول بالإجابة، والأجدر لتوفيقي بالإصابة، والمتلمس من أهل الله ساداتنا الإخوان الناظرين في هذا الكتاب سلام الله عليهم ورضوانه أن يفحصوا في معنى كل كلمة حتى ينحلهم تبيانه من وجوه عباراتها وإشاراتها، وتصريحاتها وتلويحاتها وكناياتها. وتقديمها وتأخيرها المراعاة للقواعد الشرعية، والأصول الدينية، فإن وقفوا على معنى من معاني التوحيد شهد لهم فيه الكتاب والسنة، فذلك مطلوبي الذي أمليت الكتاب لأجله، وإن فهموا منه خلاف ذلك فأنا بريء من ذلك الفهم فليرفضوه وليطلبوا ما أمليته مع الجمع بالكتاب والسنة فإن الله سيوجدهم ذلك سنة جرى بها كرمه في خلقه والله على كل شيء قدير، ثم المسؤول منهم أن يمدونا بأنفاسهم الإلٰهية ويقبلونا على ما فينا وهذه جهد المقل قدمتها بين أيديهم راجياً دعوة نجي أو نظرة ولي:

فإن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

وها أنا أشرع فيما ذكرته مستعيناً بالله ناظراً إلى الله آخذاً بالله عن الله فما ثم إلا الله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وما توفيقي إلا بالله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمٰن الرحيم»[1]. وورد: «كل ما في بسم الله الرحمٰن الرحيم، فهو في (الباء) وكل ما في الباء فهو في (النقطة) التي تحت الباء»[2]. وقال بعض العارفين: «بسم الله الرحمٰن الرحيم من العارف بمنزلة كن من الله». واعلم أن الكلام على (بسم الله الرحمٰن الرحيم) من وجوه كثيرة كالنحو والصرف واللغة، والكلام فيه على مادة الحروف وصيغتها وطبيعتها وهيئتها وتركيبها واختصاصها على باقي الحروف الموجودة في فاتحة الكتاب، وجمعها لها واختصاص الأحرف الموجودة في الباء، والكلام عليها في منافعها وأسرارها ولسنا بصدد شيء من ذلك، بل كلامنا عليها من وجه معاني حقائقها فيما يليق بجناب الحق سبحانه وتعالى، والكلام مندرج بعضه في بعض إذ المقصود من جميع هذه الوجوه معرفة الحق سبحانه وتعالى ونحن على بابه، فكلما يتجدد مع فيضه على الأنفاس ينزل به الروح الأمين على قلب القرطاس.

واعلم أن النقطة التي تحت الباء أول كل سورة من كتاب الله تعالى؛ لأن الحرف مركب من النقطة ولا بد لكل سورة من حرف هو أولها، ولكل حرف نقطة هي أوله، فلزم من هذا أن النقطة أول كل سورة من كتاب الله تعالى. ولما كانت النقطة كما ذكرنا وكانت النسبة بينها وبين الباء تامة كاملة لما سيأتي بيانه، كان الباء في أول كل سورة للزوم البسملة في جميع السور حتى سورة براءة فإن الباء أول حرف فيها، فلزم من هذا أن كل القرآن في كل سورة من كتاب الله تعالى، لما سبق من الحديث أن كل القرآن في الفاتحة وهي في البسملة وهي في الباء وهي في النقطة، **فكذلك الحق سبحانه وتعالى مع كل أحد بكماله لا يتجزأ ولا يتبعض، فالنقطة إشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كنزيته في ظهوره لخلقه، ألا تراك ترى**

---

(١) و(٢) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر وهو ثابت عند الصوفية عن طريق الكشف ومتداول بينهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النقطة ولا تحسن تقرأها البتة لصموتها وتنزهها عن التقييد بمخرج دون مخرج، إذ هي نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج، فتنبه لما تقابله من هوية غيب الأحدية. وتقرأ النقطة باعتبار الاشتراك تقول في التاء المثناة إذا زدت عليه نقطة ثاء مثلثة فما قرأت إلا النقطة، لأن التاء والثاء المثناة والمثلثة، لا تقرأ إذ صورتها واحدة ولا يقرأ إلا نقطتها، فلو كانت تقرأ في نفسها لكانت هيئة كل واحدة غير هيئة الأخرى، وبالنقطة تميزت **فما قرىء في الأحرف إلا النقطة، وكذلك ما عرف في الخلق إلا الله، فكلما عرفته من الخلق إنما عرفته من الله.** بيد أن النقطة في بعض الأحرف أشد ظهوراً منها في بعضها، فتظهر في بعض زائدة عليها يكون تكميل ذلك الحرف بها كالحروف المعجمة فإن تكميلها بها، وتظهر في بعض عينها كالألف والحروف المهملة؛ لأنه مركب من النقطة، ولهذا كان الألف أشرف من الباء لظهور النقطة في عينه، وما ظهرت النقطة في الباء إلا على حسب تكميله على وجه الاتحاد؛ لأن نقطة الحرف من تمام الحرف فهو متحد بالحرف والاتحاد يشعر بالغيرية، وهو ذاك الفصل الذي تراه بين الحرف وبين النقطة، والألف مقامه مقام الواحد بنفسه، ولهذا كان الألف ظاهراً بنفسه في كل حرف. كما تقول إن الباء ألف مبسوطة، والجيم ألف معوجة الطرفين، والدال ألف منحني الوسط، والألف في مقام النقطة، لتركيب كل حرف منها، وكل حرف مركب من النقطة، فالنقطة لكل حرف كالجوهر البسيط والحرف كالجسم المركب، **فمقام الألف بجسمه مقام النقطة تركيب الأحرف منها، كما ذكرناه في أن الباء ألف مبسوطة، وكذلك الحقيقة المحمدية خلق العالم بأسره منها، كما ورد في حديث جابر: «أن الله تعالى خلق روح النبي ﷺ من ذاته وخلق العالم بأسره من روح محمد ﷺ»**[1]. **فمحمد ﷺ هو الظاهر في الخلق باسمه بالمظاهر الإلٰهية، ألا ترى أنه ﷺ أسري بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوى الرحمٰن.** فالألف وإن كانت بقية الحروف المهملة مثله والنقطة ظاهرة فيها بذاتها لظهورها في الألف، فله عليها الزيادة، لأنه ما بعد عن النقطة إلا بدرجة واحدة؛ لأن النقطتين إذا تركبتا صارتا ألفاً، فحدث الألف بعد واحد وهو الطول، إذ الأبعاد ثلاثة، وهو طول وعرض وعمق أو سمك، وبقية الأحرف تجتمع فيها أكثر من بعد كالجيم، فإن في رأسه الطول وفي تعريقته السمك، وكالكاف فإن في رأسه الطول وفي الوسط بين رأسه وتعريقته الأولى العرض، وفي الحائل بين التعريقتين سمك، فهذا فيه ثلاثة أبعاد، ولا بد في كل حرف غير الألف أن يكون فيه بعدان أو ثلاثة،

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٨٢٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالألف أقرب إلى النقطة؛ لأن النقطة لا بعد لها فنسبة الألف بين الأحرف المهملة نسبة محمد ﷺ بين الأنبياء والورثة الكمل، فلهذا قدم الألف على سائر الحروف فافهم وتأمل، فمن الحروف ما تكون نقطته فوقه ويكون هو تحتها وهو مقام ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، ومن الحروف ما تكون النقطة تحته ويكون هو فوقها وهو مقام ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده، ومن الحروف ما تكون النقطة في وسطه كالنقطة البيضاء في قلب الميم والواو وأمثالها، فإنه محل ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه، ولهذا تجوف لأنه ظهر في جوفه شيء غيره، فدائرة رأس الميم محل ما رأيت شيئاً، ونقطته البيضاء محل إلا ورأيت الله فيه، والألف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] قيل في معنى (إنما) بمنزلة (ما وإلا) وتقديره إن الذين يبايعونك ما يبايعون إلا الله. ومن المعلوم أن محمداً ﷺ ـ هو الذي بويع ـ فشهد الله لنفسه إنما بويع إلا الله فكأنه يقول: ما أنت عندما بويعت محمداً إنما أنت الله بالغيب لأنهم مبايعون الله على الحقيقة وهذا معنى الخلافة ألا ترى إلى رسول الله ﷺ أو رسول الملك كيف يصح له أن يقول لمن خالفه ما خالفتني إنما خالفت الملك وكذلك الملك يقول لمن أرسل إليهم من رسول لا تظنوه فلاناً إنما هو تحريضاً على طاعته.

فصل: نقطة الباء واحدة في عالم غيبها التي لا تفرقة فيه على أنها أظهرت في التاء اثنين وفي المثلثة ثلاثاً ردعاً وتنبيهاً لمن قال بالشريك أنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة مشيراً إلى أن النقطة الواحدة ولو ظهرت متعددة هي في ذواتها واحدة ألا ترى إليه سبحانه وتعالى أنه واحد تخيل المشرك الشركة فيه، فالشريك الذي اعتقده المشرك في خياله مخلوق لله والحق في كل مخلوق بكماله فالمشرك مخلوق والشريك المعتقد شركته مخلوق والشركة المعتقدة مخلوقة والاعتقاد مخلوق والحق سبحانه وتعالى في كل شيء من ذلك بكماله وذاته ولا يتجزىء ولا يتعدد ولا يتكيف واحد لا ثاني له، فحصل من هذا أن الشريك هو الحق والمشرك هو الحق والشركة هي الحق، فإن شئت أشرك وإن شئت أفرد فما ثم إلا عينك ألا ترى أن النقطة من حيث هي نقطة لا من حيث هي جرم جزئي لا تتعدد ولا تتجزأ بحيث يأخذ كل شخص من أشخاصه جزءاً من أجزائه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فوجدت النقطة في عين التعداد بقوة أحديتها الغير المتعدد.

واعلم أن النقطة على الحقيقة لا تنضبط بالبصر لأن كل ما أبرزته في عالم التجسيم يمكنه التقسيم، فالنقطة المشهودة الآن عبارة عن حقيقتها وحد حقيقتها جوهر فرد لا يتجزأ، فأما إذا أبرزته من غيب الوهم على لسان القلم إلى عالم شهادة لوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأكوان ازداد حكماً في نفسه ذاتياً غير منسوب إليه في حده وهو التقسم، لأنه قل ما يوجد بل لا يوجد في عالم الأكوان مما يقع عليه إدراك الحواس جوهر فرد لا ينقسم فلما برز هذا الجوهر تحت هذا الحرف انقسم على أنه غير مقسوم فهذا محل تشبيه الحق وما ورد فيه بالنص من اليدين والوجه وفي حديث الرفرف كما قال عكرمة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «رأيت ربي في صورة شاب أمرد وعليه حلة من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفي رجليه نعلان من ذهب»[1] فهو الله تعالى يتجلى لنا بحقه في صورة الشاب وغيره:

كتب الجمال على جلالة وجهه الله أحسن كل شيء خلقه

الحديث بكماله تشبيه في عين التنزيه إذ معنى الحق إنما هو المنزه الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيستحيل عليه تقييد التشبيه وإنه ليس له إلا ذلك فلما كان تشبيه في تنزيه وتنزيه في تشبيه على الحكم الذي ورد به النص من الكتاب والسنة ظهر لك عالم الغيب في نفس عالم الشهادة وبطن لك عالم الشهادة في عين عالم الغيب، ولما كانت النقطة أمًّا لجميع الحروف كان جميع الحروف فيها بالقوة، ومعنى قولي بالقوة أن تعقل ثبات الأحرف فيها ولا يدرك كونها إلا بعد بروزها منها.

فصل: تقول النقطة للباء أيها الحرف إني أصلك لتركيبك مني بل إنك في تركيبك أصلي لأن كل جزء منك نقطة فأنت الكل وأنا الجزء والكل أصل والجزء فرع، بل أنا الأصل على الحقيقة إذ تركيبك عيني لا تنظر إلى بروزي وراءك فتقول هذاالبارز غيري. ما وراءك إلا هويتي ولولا وجودي فيك لم يكن لي بك هذه العلاقة إلى متى تصرف بشهادتك عني وتجعلني وراء ظهرك اجعل غيبتك شهادتك، وشهادتك غيبتك أما تحقق وحدتي بك لولاك لما كنت أنا نقطة الباء ولولاي لما كنت أنت منقوطة. كم أضرب لك الأمثال كي تفهم أحديتي بك وتعلم أن انبساطك في عالم الشهادة واستتاري في عالم الغيب حكمان لذاتنا الواحدة لا مشارك فيَّ لك ولا مشارك لك فيَّ، ما أنت إلا أنا لأن اسمك حدث على اسمي ألا ترى أن أول جزء من أجزائك يسمى نقطة وثاني جزء يسمى نقطة وثالث جزء من أجزائك يسمى نقطة، وكذلك جميع أجزائك نقطة في نقطة فأنا أنت مالك فيك أنية، بل هويتي هي أنيتك

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال، (١١٥٢) طبعة التراث الإسلامي، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٢١٤)، تصوير بيروت، والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٤٠٧)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي أنت بها أنت لو كنت عند قولك في نفسك أنا تتخيل ذاتي لكنت أنا أيضاً عند قولي هو أتخيل وجهي فكنت حينئذٍ تعلم أنا، أنا وهو عبارتان لذات واحدة. قالت الباء: سيدي تحققت أنك أصلي، وقد علمت أن الأصل والفرع شيئان، وهذه جثتي منبسطة متركبة لا وجود لي إلا بها، وأنت جوهر لطيف يوجد في كل شيء وأنا جسم كثيف مقيد بمكان دون غيره، فمن أين لي حقيقة مالك ومن أين أكون أنا أنت وكيف يكون حكمك حكمي، فأجابتها النقطة فقالت: شهود جسمانيتك، وتخيل روحانيتي هيئة من هيآتي ووصف من أوصافي وذلك أن جميع متفرقات الأحرف والكلمات بجملتها صورتي الواحدة فمن أين التعداد إذ لا تتحقق أن العشرة اسم لمجموع هذه الخمستين فمن أين التغاير بين الخمسة والعشرة في حقيقة العشرية لا في الاسمية، وإذا كنت أنت من كل وجوهك وصفاً من أوصافي ونظرة من نظراتي فمن أين تكون الاثنانية[1] بيني وبينك وكيف هذه المجادلة التي بيني وبينك أنا أصل فيما يراد منك وفيما يراد مني، هذا بمجموعه ذاتي ترتيب حكمة إلهية، فإذا أردت أن تعقلني فخيل نفسك وجميع الحروف كلها والكلمات صغيرها وكبيرها ثم قل لي نقطة، فذلك بمجموعه هو عين نفسي ونفسي عين ذلك المجموعة، بل نفسك عين مجموع عين عينك، بل لا أنت ولا هم الكل أنا بل لا أنا ولا أنت ولا هم ولا واحد ولا اثنين ولا ثلاثة ما ثم إلا النقطة الواحدية لا تعقل لمثلك فيها ولا تفهم، فلو تحولت من ثوبك إلى ثوبي لعلمت كل ما أعلم وشهدت كل ما أشهد وسمعت كل ما أسمع وبصرت كل ما أبصر (فأجابه الباء) فقال: قد لاح بارق ما قلت فمن لي بالوقوع في صبح هذا الفجر، وقد قلت: إن البعد والقرب والكم والكيف من ترتيب وجودك فكلما شهدت القول بالترتيب وما لا بد منه سلمت وانصرفت بوجهي إلى عالم شهادتي ولزومي الأدب معك، وكلما جلت في ملكوت معناي وجدتك نفسي فإذا طلبت من نفسي مالك من الحل والعقد في الحروف والسريان في كل حرف بكمالك لا أجد شيئاً فتنكسر زجاجة همتي وأرجع حسيراً. فقالت النقطة: نعم ترجع لأنك طلبت من نفسك ونفسك عندك غير نفسي فلا تجد منها ما لي، فلو طلبت منها أنا الذي هو أنت من نفسي التي هي نفسك دخلت الدار من بابه فحينئذٍ ما طلبت ما للنقطة إلا من النقطة، بل ولا طلبت إلا النقطة ما لها منها فجل في هذا المعنى إن كنت معنا:

هذي الخيام بدت على أطنابها ... فانزل بها إن كنت من أحبابها

قف بين هاتيك المعاني إنها ... وقفت بها الأزمان في أترابها

(١) يقصد «الإثنينية» ولكنه جرى على قواعد اللغة فرفعها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما هند إلا من أقام على الغضا والبان والأثلاث في أجنابها
فأنخ معطيك في الديار فإنها دار مباركة على أصحابها
لله در منازل قد شرفت بالساكنين وشرفوا بترابها
لا تعرف الأغيار في عرفانها مجهولة سدت على أبوابها
النازلين بحيها هم أهلها من بان عنها ليس من أنسابها

فصل: الباء هي النفس وهي حرف ظلماني وليس في البسملة بأسرها من الحروف الظلمانية إلا هي وأعني بالحروف الظلمانية (ب ج د ز ف ش ت ث خ ذ ض ظ غ) لأن الحروف النورانية التي هي في أوائل السور مقطعة هي (أ هـ ح ط ي ك ل م ن س ع ص ق ر) فجعل الحق حرف الباء أول القرآن في كل سورة، لأن أول حجاب بينك وبين ذاته سبحانه ظلمة وجودك، فإذا فني ولم يبق إلا هو كانت أسماؤه وصفاته التي هي منه حجاب عليه، فتلك جميعها نورانية ألا ترى أن **بسم الله الرحمٰن الرحيم** كلها حروف نورانية، ومن هذا كانت الباء ثوباً على النقطة لأنها فوقها والثوب فوق الملابس، فكانت الباء ظلمة نور النقطة محجوبة بوجودها التي هي العالم البارز عن العالم الجمالي النقطي، وحكمة ظهور النقطة وراءه إشارة إلى أن الأمر الحقيقي وراء ما ظهر لما التصقت النقطة بالباء كان الباء في الكلام مستعملاً للإلصاق، ولما كان نظر النقطة ممدوداً إلى الباء كان الباء في كلام العرب مستعملاً للاستعانة، لما لاح نار السعادة للباء على شجرة نفسه سرى في ظلمة سرادق غيب ليله عن أهله ليقتبس نار النقطة أو يجد هدى في نفسه إلى نفسه من نفسه نودي من جانب قائم شجرة الألف الذي هو **اسم الله اخلع نعليك**، أي وصفك وذاتك بالوادي المقدس وأنت محل التشبيه والدنس ولا مقام لك في وادي تقديس النقطة إلا أن تخلع تشبيه ذاتك ودنس صفاتك حتى لا يبقى في القدس إلا القدوس، فأخذ بزمامه يد التوفيق فانبسط تحت نور الألف انبساط الظل إذ ظل كل شيء مثله، وبسط باء كل كتابة بقدر قائم ألفها فرأت نفسها ظلاً لهذا القائم فعلمت أن قيامها به إذ لا وجود للظل إلا بالشخص بين الجرم المستوي بها، فتحقق لها متلوها ونفت وهمية وجودها لأن الظل بنفسه ليس بشيء موجود تام إنما هو حيلولة الشخص بين الجرم المستتر والأرض فوجود الظل لنفسه محال ولكن لا بد من وجود، فلما تحقق الباء بهذا القدر من الفناء أخذه الألف إلى نفسه وأبقاه في محله واندرج الألف فيه. . ولهذا طولت (باء بسم الله الرحمٰن الرحيم) لتكون دليلاً على الألف المندرج فيها فهي في المعنى خليفة عن الألف وفي الصورة مطولة على هيئة الألف فحصل لها من الألف الهيئة والمعنى ووقعت في الكلام محل الألف ولا يعرف في كلام العرب باء تقوم مقام الألف غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باء بسم الله، فانظر هذا الباء كيف أنشد حادي حاله لجمال جماله:

وغنى لي منيٰ قلبي فغنيت كما غنا
فكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا

فالألف في نفسه مشتق من الألفة بل على الحقيقة الألفة مشتقة من الألف، ألا ترى إلى اختلاف الصرفيين في المصدر هل اشتق من الفعل أم الفعل اشتق منه، فلهذا ائتلف الألف بالباء لأن الباء لزم مقام نفسه من الأدب تحته فتلاشى الظل تحت الشخص فوفاه الألف من عين الجود مقام نفسه، لأن مقام الألف التصور بصورة كل حرف إذ الباء ألف مبسوطة والجيم ألف معوج الطرفين والدال والراء ألف منحني الوسط والشين أربع ألفات كل سنة منها ألف والتعريجة ألف منحن مبسوطة، وعلى هذا قياس الباقي، هذا في الصورة وأما في المعنى فلا بد من وجود الألف في كل حرف لفظاً، فالباء إذا هجيته يقال باء وألف والجيم إذا هجيته تقول جيم ياء ميم فالياء المثناة التحتية موجود فيها الألف فالألف في كل حرف صورة ومعنى لأنه تنزل إلى النقطة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فله كل ما للنقطة في عالم الشهادة:

ذاك هي هي ذاك يه يه ذاك بعض ذاك أبضع
ذاك جبريل المعالي قد تدحى وتلفع

يقول ﷺ: «لا تدخل الشوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها»[1] هذا لتحقق أحديته بمجموع العالم أفراده وأجزائه حتى أنه يجد حال كل فرد في نفسه، كما يجده ذلك الفرد في العالم.. سؤال ما السبب أن الألف حذف في البسملة ولم يحذف في ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]؟.

الجواب لأن إضافة الاسم هنا إلى الله الجامع الذي لا يقيد بصفة دون أخرى، وإضافة الاسم هناك إلى الرب ولا بد للرب من عبد مربوب فمحال أن يتحد الباء به في هذا المحل، لأنه إذا زالت العبودية زالت الربوبية على الفور، وأما الألوهية إذا زالت العبودية، فإنها لم تزل لأنها اسم لمرتبة جمع المراتب كلها، فزوال العبد كما لم يكن وبقاء الرب كما لم يزل مرتبة من جملة مراتب الألوهية فهي لا تزول بنوع ما، فلما أثر اندراج الألف في ذلك المحل واتحد بالباء فأسقط لفظاً وخطاً، فبسم

(١) هذا الحديث لم أجده بهذا اللفظ ولكنه موجود في الصحاح بألفاظ أخرى مفادها تكفير الخطايا. ومن ألفاظه ما رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، حديث رقم (٤٦، ٤٧ ـ ٢٥٧٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله الرحمٰن الرحيم حقيقة محضة و﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ شريعة محضة ألا تراه تلي: (اقرأ) وهو أمر والأمر مختص بالشرائع وباسم الله الرحمٰن الرحيم غير مقيد بأمر ولا بغيره فليتأمل.

فصل: الألف لما كانت الألفة مشتقة منه ألَّف بين الحروف فألَّف بين بعض ذاته بذاته، كالألف بين الباءات فإنها ألفات مبسوطة فكل منها عين الآخر، وألَّف بين بعض بصورة لفظه كقولك الخاء ظهر في آخرهما فهذه عين هذه كتابة وصورة، وما بقي الفرق إلا في التلفظ، بل ألَّف بين الجميع وصورته وذاته لما سبق أن كل حرف ألف وأن الألف موجود في هجاء كل حرف كذلك الحق سبحانه تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] ما كان يمكن يا محمد ويجوز أن يكون الخطاب لكل مستمع أن تؤلف بإنفاق ما في الأرض جميعاً بين قلوبهم ولكن الحق بكماله وقوته ألف بين أجسامهم وذواتهم وصفاتهم، ألَّف بين طائفة بذاته وألَّف بين طائفة بصفاته وألَّف بين طائفة بأفعاله وهيئاته بل ألَّف بين الجميع بذاته وجميع صفاته:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم

فصل: تعلقت الأحرف ولا تعلق للألف بشيء من الحروف كذلك افتقر كل مخلوق إلى الله سبحانه وهو غني عن العالمين.. يقول القائل، أي حسنة سبقت بالألف قبل وجوده حتى قرب من النقطة هذا القرب العظيم؟ وأي سيئة تصرفت من الأحرف حتى بعدوا؟ قيل في جوابه: عدم بعد مرتبة الألف من محل حكم النقطة في ذاتها حسنة سبقت للألف جزاؤها اتصافه بأوصاف النقطة ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۝٧٥﴾ [يوسف: ٧٥]: نعم وعدم قرب بقية الحروف من محل حكم النقطة في ذاتها سيئة سبقت عليهم ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك. **تنبيه**: النكتة في اتحاد الألف بالباء إنما هو لوجود الألف فيه ولولا ما في الباء من وجود الألف لفظاً في الهجاء لما اتحد، لأن الوجه الموجود فيه الألف إنما هو آخره الذي هو عينه فلا يمكن أن يتحد به من غير ذلك الوجه فإذاً ما اتحد بالألف إلا الألف، فإذاً الاتحاد لزوال الغيرية، فكذلك لكل حرف إنما يتحد بالألف من آخره وهو الوجه الموجود فيه الألف منه، أما ترى في كتابة كل حرف لا يلتصق بالألف إلا إذا كان الحرف قبله والألف بعده لا يكون إلا ذلك، لأن الهجاء في ذلك الحرف إنما تتقدمه مادية غير مادية الألف، ثم يتلوه مادة الألف إما في نفسه نحو هجاء الباء وإما في غيره نحو هجاء (الجيم والسين والنون) على قدر بعد الحرف وقربه من هيئة الألف وطبيعته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومكانته، وعلى ذلك كله فالألف موجود في كل حرف وهو ملتصق بأحرف مخصوصة من وجه مخصوص ولا يلتصق بأحرف أخرى من وجه من الوجوه نحو (الدال والذال والراء والزاي والواو)، وما ثم إلا هذه الخمسة أحرف، وانظر كيف الألف موجود بكماله في كتابة صورة كل حرف من هذه الأحرف بكماله، كذلك الجمادات والأنعام إذا حشر كل إلى ربه في يوم القيامة يصير فناء محضاً لا باقي منها إلا هو في هويته ليس له فيهم نظر، بخلاف الإنسان فإنه إذا رجع إلى ربه سبحانه وتعالى لا يبقى إلا هو في هويته. ولا بد من نظرة إلى المرتبة المسماة بالإنسان منه لانتفاء الجهل ولحصول اللذة وتمام الكرامة له مع انعدام كل ما سوى الله تعالى، بخلاف الجمادات فإن الله يفنيها ويعدم أجسادها وذواتها، لأنه ما جعل لها وجوداً تاماً في العالم، بل كان هو الظاهر فيها ولم يجعل لها ملكية وجود كما ترى الألف في الخمسة أحرف كيف ظهر بنفسه منفرداً على صورته وهيئته غير ملتصق بحرف من الحروف، وهذا محل عدم الدعوى للجمادات بالوجود لأنه لا تمام لنفس الحرف إلا بالتصاقه بالألف ولو في الهجاء إذ هو عين حياتها لأن حياة الألف هي السارية في أجساد الحروف ولولا ذلك لما كانت للحروف معاني فما التصقت به إلا في الهجاء لا في الخط فهي برية من دعوى الوجود، وأما باقي الحروف فقد ملكوا الوجود كما ملك الحق سبحانه الإنسان وجوداً يتميز به في نفسه ويتحقق أن له وجوداً وذاتاً مغايرة لوجود غيره وذاتاً سواه، بخلاف الحيوان فإنه ولو كان له روح فلا عقل له، ولو عقل فلا حافظة تمسك له في خياله ما تعقله، فنهاية تعقل الحيوان لما هو بصدده مما تقتضيه الشهوات الطبيعية والعادات الحيوانية وتطلب النفس في أول وهلة من الحفظ وغيره ولو كانت له حافظة تمسك له ما يعقل حتى يقيس بعض أجزائه المعقولة على بعض فيحكم بعد ذلك على الأَوْلى والأحسن منها لكان كاملاً في مرتبة الوجود، وليس هذا إلا لملك وإنسان فقط، ولأجل هذا لم يتجل الحق لشيء في نفسه أعني نفس الحق سبحانه وتعالى إلا للإنسان لجمعه بين العقل والشهوة، وأما الملك لاختصاصه بالعقل فتجلى الحق له في نفسه لا في نفس الحق لنزوله عن درجة الكمال الجامعة بين التشبيه والتنزيه، بخلاف الحيوان فإنه لا قدم له في ذلك إذ ليس له ملكية وجود كمال الإنسان، فهذا محل دعوى الإنسان بالوجود وهو الحجاب الأعظم الذي لا ينكشف إلا بعد الموت الأكبر الذي هو زوال علمك بوجودك بعد التحقق بحقائق التوحيد، وبعد ذلك فلا بد لك من نظر تجليه[1] على الله تعالى إلى هذا الإنسان وهيكله لبقاء

(١) كذا في الأصل وليحرر. ولعل العبارة هي: فلا بد لك من نظر تجليه تعالى... إلخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نشأته وصورته الظاهرة، وهذا النظر غير النظر الأول الذي كنت تراه فافهم، رزقنا الله وإياك تحقيق ذلك كله إنه على كل شيء قدير.

فصل: تجرد الألف عن عوائق النقط وخلص من العوائق التبعية التي تكون بعده كتعلق الحروف بعضها ببعض من بعدُ فلم يكن له تعلق بشيء في عين نفسه، فلا يتعلق الألف في الخط بشيء من الحروف، لأجل ذلك كان سارياً في جميع الأحرف بكليته سريان النقطة، فثبت في أول كل اسم معرف من أسماء الله تعالى، فهو مظهر الحق وهو المتحقق بالحق، بل ليس الحق إلا هو فكانت النقطة له ميزاناً قاس به نفسه واندرج في كل ما تندرج فيها النقطة، فكأنه ما كانت النقطة إلا حكماً له وهو محكومها بل هو على الحقيقة نفس النقطة لنفي الاثنينية إذ لا وجود لمسمى الألف إلا من حيث النقطة، فهو النقطة المؤتلفة وهو الحرف الذي أبرزته النقطة على صورتها لأن ما صورتها إلا ما تقدم ذكره من الانبساط في كل حرف، وتركيب كل كلمة وحرف من نفسها وبرزت فيه متعددة الجسد واحدة الروح لأن الألف مركب من نقط كثيرة كل واحدة بجنب أخرى، وعلى الحقيقة النقطة من حيث هي كلي لا ينقسم ولا يتعدد يوجد في جميع جزئياته من غير تعدد في نفسه كما يوجد الحق تعالى في سمع الإنسان المتقرب إليه بالنوافل وفي بصره وفي يده وفي لسانه فهو سبحانه بكينونة سمع هذا العبد لا يتعدد في كينونة بصره، وكما أنه موجود في كل شيء ما من أجناس العالم جميعه بكماله لا يتعدد بتعدد الأشياء كذلك الألف مع وجوده في الأحرف الثمانية والعشرين لا يتعدد بتعددها لأن الألف في جملتها واحد، ومن هنا قال من قال: **(إن الألف ليس من جملة الحروف لادعائه أن الإنسان الكامل ليس من جملة غيره من المخلوقات فافهم)**.

فصل: عدد الألف واحد والواحد عدد لا من جملة الأعداد لأن العدد اسم لتكرار الواحد من مرتبتين فصاعداً، وفائدته تعقل تسمية المعدود في مرتبة التغاير تعقلاً كمياً، وليس للواحد في نفسه مغايرة لعدم السوى فلا يدخل في حد العدد من هذا الوجه ودخل فيه من حيث تعقل عدم تغايره في نفسه فهو عدد لا كالأعداد كما قالت العقلاء: إن الله شيء لا كالأشياء، وسر بروز الألف في عدد الواحد لبعده من النقطة بعداً واحداً وهو الطول فقط لأن النقطة ما لها طول ولا عرض ولا عمق ولا سمك وهو له الطول فقط فهو الخط المستقيم، وبرزت الباء في عدد الاثنين لأنها بعدت بعدين: الطول والعرض لأن رأسها عرض وجسدها طول، وظهر الجيم في عدد الثلاثة لأنه حاز الطول والعرض والعمق، وإن شئت قلت: العمق والسمك فهما سيان وإنما يتغايران، النسبة إن ابتدأت من أسفل سميته سمكاً، وإن نزلت من أعلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أسفل سميته عمقاً وهذا التعليل ليس في عدديتهم، وهذا سر شريف أنا أول من عبر عنه، ولعلنا إن بسط لنا ومكنا من القول أن نتكلم على بقية جملة أعداد الأحرف وأسرارها كل حرف من أين فيه ما حصل فيه من العدد وما سره وما سر كل عدد في نفسه بهذا اللسان الحقيقي إن شاء الله تعالى.

الباء: هو العرش، وهي النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله، والنقطة هي غيب الهوية المسماة بالكنز المخفي التي لا تحول عن كنزيتها وخفائها أبداً، فالباء مستوى الأعداد لأنها أول العدد ولا عدد إلا والباء موجود فيه، كما أن الرحمانية مستوى الأسماء النفسية التي هي الأسماء السبعة، وكل اسم فداخل تحته كما قال الحق تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فالرحمٰن مشارك الله في التسمي بجميع الأسماء الحسنى، ويفارق الله بما وراءه من ذلك فيما لا تقع الاسمية عليه عندنا كما يقول العالم بنفسه ﷺ، أو استأثرت به في غيبك.

فصل: معنى اثنينية الباء بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقي، وهو النظر الثاني لأن الحق سبحانه وتعالى له مشهدان في نفسه، فمشهد أحدي ذاتي لا ينظر الله فيه إلى ما يسميه خلقاً فلا وجود للخلق في ذلك المشهد، ومشهد ذاتي ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقاً مرتبة على ترتيب ذاته وسمى ذلك الترتيب بالصفات، فالباء هو هذا المشهد الثاني الذي يظهر فيه آثار الحكم المسمى من ذات الله بالرحمٰن، وهو المعبر عنه بمستوى أسماء الحضرة الخلقية، ومن ثم قيل في آدم إنه على صورة الرحمٰن وقد تبين في اصطلاح الصوفية تسمية الإنسان بالعالم الصغير وتسمية العالم بالإنسان الكبير.

واعلم: أن الأصل في بسم الله الرحمٰن الرحيم، باسم الله الرحمٰن الرحيم، لا بد له من فعل بعده يتعلق به الباء، نحو ابتديء أو أستعين أو أتبارك إما مصرح ملفوظ أو مقدر تدل قرينة الفعل الحاصل بعد البسملة عليه، كما يدل فعل الشرب بعد البسملة على أن المقدر بعده أشرب أو أستعين على الشرب بسم الله أو نحو ذلك، فإذا قال القائل (بسم الله) أفعل كذا كان معناه بالله أفعل كذا إذ ليس الاسم غير المسمى. وقد قال سبحانه وتعالى، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] وما المعنى في قولك بالله أفعل إلا إنه سبحانه هو عين فاعل ذلك الفعل منك فيك، فكأنك تقول بما انطوى من الألوهية في ذاتي الظاهرة بخلاف ما هو عليه باطني الذي هو عين المسمى بالإله، وبما انطوى من الألوهية في ذاتي الباطنة بخلاف ما هو عليه في ذاتي الظاهرة الذي هو غير المسمى بالإله أفعل كذا، وفائدته نفي الفعل من خلقك وإثباته لحقك، إن كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشهد فعلياً، وإظهار تلاشي المسمى بالمخلوق من ذاتك تحت سلطان عظمة المسمى بالخالق من عين أنيتك إن كان المشهد اسمائياً، وبروز أحدية وجودك في تعدد وجوهها الواحدية إن كان المشهد ذاتياً فافهم، ولا بد لك من تعقل هذا المقدار عند قولك بسم الله الرحمٰن الرحيم حتى تتميز عن رتبة الحيوانات، لأن التلفظ بما لا تعقل معناه رتبة حيوانية نعوذ بالله من ذلك.

فصل: طولت الباء بعد إسقاط الألف وبعد قيامها مقامه تنبيهاً على أنها النائبة مناب الألف من كل حرف، كما سبق من أن الرحمٰن موصوف بكل وصف نائب مناب اسم الله في التسمي بالأسماء الحسنى، فلا يعقل الخلق من الله إلا حد مستوى الرحمٰن، وبعد ذلك فليس للمخلوق فيه مجال البتة، وما ثم إلا الحضرة الأحدية المحضة التي هي الوجه الذي لا يفنى من كل شيء في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، فلا حكم إلا لهذه الأحدية في جميع هذه الحضرات الأكوانية والرحمانية، وهي وجه كل شيء وقد صرح بها: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وفي هذا المعنى قلت:

ما ثم غير سعاد بالنقا أحد ... هي الموارد حقاً وهي من يرد
هي البقيع هي الوعساء قاعته ... هي المحصب من خيف هي البلد
هي النبات هي الأجساد جامعة ... هي النفوس هي الحيوان والجمدُ
هي الجواهر والأعراض قاطبة ... هي النتاج هي الآباء والولد
قل للذين سروا عني لقصد قبا ... أنا قبا وفؤادي ذلك السند
يا سلم ما كبدي لولاك فاتئدي ... ولا الفريسة إلا ذلك الأسد
استغفر الله تنزيهاً لمرتبتي ... ما بين خلق وبين الله متحد

نكتة: لصق الباء والسين في البسملة لسر شريف، وهو أن السين محله من الأعداد المرتبة السادسة، فهو حاوٍ على ست مراتب من مراتب الواحد، وهي الجهات التي ظهرت فيها الباء، وهي المخلوقات المسمى جملتها بالعرش، وكل جهة من هذه الجهات التي ظهرت فيها الباء فيه وجه الله بكماله، كما أن الواحد موجود في كل مرتبة من هذه الستة مراتب السين بكماله.

واعلم: أن السين عبارة عن سر الله تعالى وهو الإنسان. . قال بعض المفسرين إن (ياسين) الياء فيها حرف نداء والسين الإنسان، والكلام عليه من باب الإشارة يقول الله: يا إنسان عين ذاتي والقرآن الحكيم، فالقرآن الحكيم عطف على عين ذاتي الذي أضيف إليه الإنسان، فهو سر الذات وسر القرآن الحكيم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعلم أن القرآن الحكيم هو صفة الله سبحانه وتعالى، ومعنى القرآنية تعقلك بما يستحقه الإلٰه من أوصاف الألوهيات، فهذا التعقل هو كالقراءة، وأما ذات الحق فلا تعقل لك فيها لصموت أحديته المنزهة عن الكثرة الاسمائية وغيرها، فكلما قرأت شيئاً من القرآن الحكيم الذي هو صفة الله في نفسك ظهرت صفات الله لك بقدر تلك القراءة المرتبة، ولهذا قرن به الحكيم لكون القراءة هذه مرتبة بترتيب حكمة إلٰهية شيئاً فشيئاً لا تتناهى ولا تبلغ لها غاية أبداً، فالترتيب: الله والحكمة عين الذات التي هي أنت، وليس لشهادتك إلا ما قرأه غيبك منك، وأما ما لم يقرأه غيبك منك، فهو لغيبك لا لوجهك الشهادي، وعين وجه شهادتك عين وجه غيبك، فتحيرت تحير الله أعني الاسم في ذاته لأنه لم يستوفها، أي لم يظهر بجميع معاني كمالاتها بل في الذات الإلٰهية الكامنة من وراء الاسم الله أعلم ما به.. ولكن مع هذا فإن هذا الاسم قد وقع عليها وهو شيء واحد، فقولنا قد وقع اسم الله على الذات وهو شيء واحد، ينافي قولنا لم يستوفها لاستحالة التجزية والتبعيض في جناب الحق، لأن الذات إذا لم تتبعض وقد وقع عليها فقد استوفاها وإذا لم يستوفها فليست بشيء واحد، هذا الأمر يعطي الحيرة القبيحة للعقلاء والحيرة الحسنة لأهل الله تعالى، فإذا كان الله أعني الاسم متحيراً في ذاته فكيف لك بالعبد في هذا المحل، من أولى به من التحير:

تحيرت من حيرتي مم هي ... فقد حار فهمي في وهمه
فلم أدر هذا التحير من ... تجاهل فهمي أم علمه
فإن قلت جهلاً فإني كذوب ... وإن قلت علماً فمن أهله

وفي هذا المعنى قولي من قصيدة طويلة ليس هذا موضعها:

أأحطت خبراً مجملاً ومفصلاً ... بجميع ذاتك يا جميع صفاته
أم جل وجهك أن يحاط بكنهه ... فأحطته أن لا يحاط بذاته
حاشاك من غاي وحاشا أن يكن ... بك جاهلاً ويلاه من حيراته

فمن ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١، ٢] يا سر الذات الغير المقروء في الله وعين القرآن المتلو من على ترتيب حكمة ذات الأحدية ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ٣]، من تلك الحضرة العالية القدسية الأحدية إلى هذا المشهد الخلقي التشبيهي الإنساني ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾ [يس: ٤]، أي سنن أحدي قيومي يقوم بنفسه وبالعالم جميعه ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ﴾ وهو الذي لا ينال إلا في هذا الهيكل المحمدي ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]، لأنه لما رحم العالم أراد أن ينيلهم نفسه وهو عزيز فتنزل في جنسهم ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨] ليدلهم على نفسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويجذبهم إليه عناية منه بهم ومنة من عين خزائن جوده عليهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ لأنه الحامل لكم والفاعل فيكم بكم فلا وجود لكم بل الوجود المطلق لذاته ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي الذين آمنوا أنه عينهم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ ولم تقبل عقولهم رؤية أحديتك في كثرة أعدادهم ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ إذ الألوهية جامعة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فاشهد لهم إنهم فروا من يمينه إلى شماله وكلتا يدي ربي يمين، فكان ﷺ رحمة للعالم جميعه مؤمنه وكافره مقره وجاحده ﷺ. سبق بنا جواد اللسان في مضمار البيان إلى تحدثنا بما لم ينطق بإفشائه الجنان فلنرجع إلى ما كنا بصدده من (شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم).

واعلم: أنه لما كان الألف من غيب الأحدية والسين سرها الشهادي كان الميم عبارة عن الوجود وهو الحقيقة الجامعة للغيب والشهادة، ألا ترى إلى تجويف رأس الميم كيف هو محل النقطة البيضاء وقد مضى لك أن النقطة هي الكنز المخفي، فقل إن الدائرة من تجويف رأس الميم هي الحق الذي يظهر فيه الكنز المخفي ألا ترى إلى قوله تعالى في الحديث القدسي: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني)[1] فمن هنا كان الاسم ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٨]، لأنه لو كان وصفاً لربك لكان مجروراً فذو الجلال مرفوع تابع للاسم لا لربك فافهم.

واعلم أن الميم هو روح محمد ﷺ لأن المحل الذي ظهر فيه الكنز المخفي العالم.. وقد ورد في حديث جابر أن أول ما خلق الله روح محمد ثم خلق العالم رتبة منه الحديث[2]... الخ. والنقطة البيضاء التي في جوف رأس الميم عين محمد ﷺ الذي هو الكنز المخفي ومن هنا قلنا: إنه ﷺ حقيقة جامعة للذات العظيم والقرآن الحكيم على الوجه الذي قررناه وفي هذا المعنى قلت:

رسولُ اللهِ يا مجلَى الأُلوهـهْ ... ويا مَنْ ذاتُهُ الذاتُ النزيهَهْ
ظهرتَ بكلِّ مظهرٍ كلِّ حسن ... تسترَ عَنْ عيانٍ بالبديهَهْ
بأوصافٍ هيَ السبعُ المثاني ... وقرآن هيَ الذاتُ النبيهَه
خُصِصتَ وكنتَ أنتَ بها حقيقاً ... حقيقتُك المقدمَةُ الشبيهَهْ
سكنتَ ديارَ هندٍ وإن تعالَتْ ... وجلَّتْ وقد لبستَ رِدَا المويهَهْ

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٤)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فبالأوصافِ كلٌ شافَ سُعدَى وأنت بهَا نظرتَ إلى الأُلوهَةْ
لأنّكَ كنتَ قبلَ الكلِّ حُكماً فذاتُك للذواتِ هيَ الفقيهَة

كان لإنشادي هذه الأبيات سبب وهو أننا اجتمعنا في بعض ليالي سنة تسع وتسعين وسبعمائة بمسجد شيخنا وسيدنا الأستاذ العالم القطب الأكبر والكبريت الأحمر **شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي** على سماع عام كان في جبانة المسجد، فقرأ في حضرة الشيخ أحد إخواننا السادة وهو الفقيه أحمد الحبابي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] فأشهدني الحق سبحانه وتعالى اتصاف نبيه محمد ﷺ بالسبعة الأوصاف النفسية التي هي: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وشهدته ﷺ بعد اتصافه بأوصافه عين الذات الغائب في هوية الغيبيات، وهو المشار إليه في الآية بالقرآن العظيم، إذ قراءته لا نهاية لها، فكلما قرأته الورثة أهل قرآن الحقيقة من ذات الله تعالى هو عين محمد ﷺ وإليه الإشارة في الحديث في قوله: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»[(١)] فليتأمل. فهو غيب هوية الأحدية والرسل والأنبياء والورثة الكمل يقرؤون غيب هوية محمد ﷺ في الله وهذا معنى كونه واسطة بين العالم وبين الله وإليه الإشارة بقوله: **«أنا من الله والمؤمنون مني»**[(٢)] فافهم.

واعلم: أن عدد الميم أربعون هذا العدد هو عين كمال الاعتدال في كل شيء، وهو ميقات الرب سبحانه وتعالى، ومعنى ميقات هذا العدد أنه موافق لمراتب الوجود التي ليس بعدها إلا ما كان، أولها.

المرتبة الأولى: هي الذات الساذج.

المرتبة الثانية: هي العماء وهي عبارة عن الكنه الذاتي عبر عنها بالمعرفة.

المرتبة الثالثة: هي الأحدية وهي عبارة عن السذاجة الذاتية عبر عنها بالكنز المخفي.

---

(١) رواه أحمد في المسند، حديث رقم (١٢٣٠٠). وابن حجر في لسان الميزلت (٥/ ٣٠٢) دار الفكر ـ بيروت.

(٢) لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعاً، بل الذي ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض، أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢٥]. وأما السنة ففي قوله ﷺ في حي الأشعريين: «هم مني وأنا منهم»، وقوله لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقوله للحسن: «هذا مني وأنا منه»، وكله صحيح، وعند الديلمي بالإسناد عن عبد الله بن جراد: «أنا من الله عز وجل والمؤمنون مني، فمن آذى مؤمناً فقد آذاني» انظر كشف الخفاء للعجلوني، حديث رقم (٦١٩)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرتبة الرابعة: الواحدية وهي أول تنزلات الذات في الأسماء والصفات.

المرتبة الخامسة: الألوهة وهي المرتبة الشاملة لمراتب الوجود أعلاها وأسفلها.

المرتبة السادسة: الرحمانية وهي المرتبة المتصفة بأعلى مراتب الوجود.

المرتبة السابعة: الربوبية وهي المرتبة المقتضية لوجود المربوب ومن هنا ظهر الخلق.

المرتبة الثامنة: العرش وهو الجسم الكلي.

المرتبة التاسعة: القلم الأعلى وهو العقل الأول.

المرتبة العاشرة: اللوح المحفوظ وهو النفس الكلي.

المرتبة الحادية عشر: الكرسي وهو العقل الكلي عبارة عن القلب.

المرتبة الثانية عشر: الهيولى.

المرتبة الثالثة عشر: الهباء.

المرتبة الرابعة عشر: فلك العناصر.

المرتبة الخامسة عشر: الفلك الأطلس.

المرتبة السادسة عشر: فلك البروج.

المرتبة السابعة عشر: فلك زحل.

المرتبة الثامنة عشر: فلك المريخ.

المرتبة العشرون: فلك الشمس.

المرتبة الحادي والعشرون: فلك عطارد.

المرتبة الثالثة والعشرون: فلك القمر.

المرتبة الرابعة والعشرون: فلك الأثير وهو فلك النار.

المرتبة الخامسة والعشرون: فلك الهواء.

المرتبة السادسة والعشرون: فلك الماء.

المرتبة السابعة والعشرون: فلك التراب.

المرتبة الثامنة والعشرون: فلك المولدات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرتبة التاسعة والعشرون: فلك الجوهر البسيط.

المرتبة الثلاثون: فلك العرض اللازم.

المرتبة الحادية والثلاثون: المركبات وهي المعدن.

المرتبة الثانية والثلاثون: النباتات.

المرتبة الثالثة والثلاثون: الجمادات.

المرتبة الرابعة والثلاثون: الحيوانات.

المرتبة الخامسة والثلاثون: الإنسان.

المرتبة السادسة والثلاثون: عالم الصور منه يلحق بها الدنيا.

المرتبة السابعة والثلاثون: عالم المعاني منه يلحق بها البرزخ.

المرتبة الثامنة والثلاثون: عالم الحقائق ويلحق بها القيامة.

المرتبة التاسعة والثلاثون: الجنة والنار.

المرتبة الأربعون: الكثيب الأبيض الذي يخرج إليه أهل الجنة وهو عبارة عن مجلى الحق تعالى ودار الدور فما بعده إلا الذات.

فهذا العدد هو أصل الأشياء وبه كملت تخميرة طينة آدم، وهو أول موجود في العالم الإنساني ظهر في **المرتبة الرابعة** من العدد لأن العالم بأجمعه ليس فيه إلا أربعة أنواع: قديم أو حديث، كثيف أو لطيف، وما ثم إلا هذه الأربعة فجمعها هو عين هذا الميم المحمدي الذي قلنا: إنه جميع الوجود القديم والحديث، والكلام على هذا العدد كثير جداً من حيث تفرعاته في الطبائع والعناصر والإنشاءات والفصول وغير ذلك، وتكفي عن الجميع إشارة إن كان في القلب بصارة، اسم الشيء ووسمه الذي بتصوره يتعقل ذلك الشيء ويمتاز به عن غيره كما يمتاز ذو الوسم ممن لا وسم له.

فصل: اسمه الله أصله الإلٰه ولكن سقطت الألف الوسطى وأدغمت اللام في التي تليها فصارت الكلمة الله، ولكن أصله سبعة أحرف ستة رقمية والسابعة الواو الظاهرة في إشباع الهاء كما ترى (ال ال اهـ و) وهي **عين السبع الصفات** التي هي معنى الألوهة.

فالألف الأول: هو عين اسمه الحي ألا ترى إلى سريان حياة الله تعالى في جميع الوجود، وقد أظهرنا لك سريان الألف في جميع الحروف.

الثاني: اللام الأول وهي الإرادة التي كانت أول توجه من الحق في بروز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالم لما أشار إليه الحديث بقوله: «**كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف**»[١] **وليس الحب إلا الإرادة**.

الثالث: الألف الثاني وهي القدرة السارية في جميع الموجودات الكونية إذ الموجودات الكونية داخلة تحت سلطان القدرة.

الرابع: اللام الثاني وهو العلم وهو جمال الله تعالى المتعلق بذاته وبمخلوقاته فقائمة اللام محل علمه بذاته وتعريقة اللام محل علمه بمخلوقاته ونفس الحرف عين العلم الجامع.

الخامس: وهو الألف الثالث وهو السمع السامع، منطوق ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

السادس: الهاء وهو بصر الله، دائرة الهاء تدل على إنسان غيبه المحيط الذي ينظر به إلى جميع العالم، والعالم هو البياض الموجود في عين دائرة الهاء، وفي هذا تنبيه إلى أن العالم ليس له وجود إلا بنظر الله تعالى إليه، فلو رفع نظره عن العالم لفني بأجمعه، كما أنه لو لم تدر دائرة الهاء على النقطة البيضاء لم يكن لها وجود البتة، ومع وجودها فهي باقية على ما كانت عليه من العدم إذ البياض الموجود قبل استدارة الهاء موجود بعده، وكذلك العالم مع الله على حالته التي كان عليها قبل أن يخلقه الله سبحانه، فافهم وتأمل في هذا السر الغريب وقس لما ذكرته خارجاً عنك على ما هو في ذاتك، فليس المراد من ذلك إلا سعادتك ووقوعك على عينك.

السابع: الواو البارز عدده في المرتبة السادسة، وهو معنى مشير إلى كلام الله تعالى، ألا ترى إلى الست الجهات التي غاية نهايتها كمال العرش الرحماني المنسوب إلى كل جهة كيف دخلت تحت حضرة كن، فكما أن كلام الله تعالى لا نهاية له كذلك المخلوق الداخل تحت حيطة العرش ممكن، ولا نهاية للممكن، فانظر عدم النهاية في الواجب الوجود كيف ظهر بعينه في الممكن الجائز الوجود والعدم، فهذه السبعة الأسماء هي عين معنى الله وصورته اسماً وذاتاً ليست سواه وهي هي.. واختلف الناس في هذا الاسم فمنهم من قال: إنه مشتق من أله يأله ألهاً، بمعنى عبد يعبد عبادة، فجعل المصدر اسماً للمعبود فقيل: أله، وزيد فيه ألف التعريف ولامه فقيل: الله. ومنهم من قال: أله بمعنى عشق، فيكون أله مصدر العشق. ومنهم من قال: إنه اسم جامد غير مشتق ولم يكن أصله: أله، بل هو على

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٤)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاله علم لواجب الوجود المخترع للعالم، وليس هو إلا هذه الخمسة الأحرف (ال ل ا هـ) وهذا هو مذهبنا. والدليل عليه تسمي الحق به قبل أن يخلق العالم لأن الله غني عن العالم، بخلاف اسمه الرحمٰن فإنه ناظر إلى ظهور أثر الرحمانية في المرحوم، لا بد من ذلك للحق سبحانه وتعالى إما ظاهر في الوجود وإما باطن في علمه ملحوظ له فافهم، وكذلك الرب والخالق وبقية الأسماء الرحمانية كالمعطي والواهب والمنتقم، وأعنى بالأسماء الرحمانية كلما يطلب مؤثراً يظهر فيه أثره كالعلم فإنه يطلب معلوماً والسميع والبصير والقدير والمريد والمتكلم، ككلمة (كن) فإنها تطلب مكوناً، فهذه وأشباهها أسماء رحمانية، وقد سبق فيما تقدم معنى أن الرحمٰن هو الله بنظره إلى ما يستحقه العرش وما حواه، بخلاف اسمه الله تعالى فإنه علم للذات التي هي هوية كل هوية وأنية كل أنية وأنانية كل أنانية، ولا يتقيد بنظره ولا ينعدم تقيده بنظر هو الجامع للشيء وضده، ولهذا قال من قال إن الله هو عين الوجود والعدم، ففيه سر دقيق فأما قوله عين الوجود فظاهر، وأما قوله عين العدم ففيه سر دقيق، لا يطلع عليه إلا الكمل من أهل الله لمقامهم أو من فتح له رتق هذا الباب قبل وصول هذا المحل. . ولا بد من الكلام بعد ما شرعنا فيه وهذا وجه من الوجوه التي يصح فيها إطلاق اسم العدم عليه لكماله سبحانه وتعالى لوجوبه تعالى الله علواً كبيراً.

واعلم: أن الله علم يعطيك تعقله مسمى حوى مراتب الألوهية ويتصور عندك أنه أمر زائد عليك مغاير لذاتك فهذا المتصور عدم لا وجود له إذ عين المراد ذاتك فما ثم مصور إلا الله (وما ثم إلا أنت) بل (ما ثم إلا الله).

واعلم: أن قولنا الحق والخلق والرب والعبد إنما هو ترتيب حكمي نسبي لذات واحدة كل ذلك لا يستوفي معناها، ووقوفك مع شيء من تعدد ذلك زور وتضييع وقت في عين الحقيقة إلا إذا كنت ممن يشم المسك وهو في فأرته، فإن كل ذلك حينئذٍ ترتيب لذاتك تستحقه بالأصالة، فحينئذٍ أكلت الزفر بيد غيرك ووزنت نفسك في عيار مرتبتك وما يستحقه قانونك، فما وجدته من تلك فهو عين الحقيقة، وما وجدته من الله إليك على سبيل الاتصال والاتحاد فهو عين الضلال في الحق والالحاد، ولا يذوق هذا الكلام إلا عربي أعجمي لغته غير لغة الخلق ومحله غير محلهم، فهو يستوفي ماله كما لم يزل ويرمى بسهم مراتبه في قوس مقتضياته على هدف ذاته بيد قائم أحديته، فلا يخطىء له مرمى ولا ينكس له سهماً، فلا سهامه تزول، ولا عين الرامي تحول. تعالى الله أن تنصرم ألوهيته أو تنقسم أحديته.

فصل: **اعلم أن الجلالة مركبة** من ستة أحرف وهي (ال ف م ي هـ) لأن الألف ببسائطه ثلاثة وهي (ال ف) واللام الأول بسائطه ثلاثة (ل ام) والألف الثاني كالأول،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واللام المتأخر كالمتقدم، والهاء بسائطه حرفان، الجملة جميعها أربعة عشر حرفاً عدد الأحرف النورانية أسقطت منها المكرر فبقي هذه الأحرف (ال ف م ي هـ) فالألف ثلاثة عوالم: الغيبي الذي لا يتصور شهادته وظهوره أبداً، والعالم الغيبي البرزخي الذي يمكن شهادته وظهوره، والعالم الشهادي فهذه ثلاثة عوالم، وليس للموجود والوجود بأسره إلا هذه الثلاثة العوالم، ألا ترى إلى مخرج الألف ابتداؤه الهمزة من غيب غيب الصدر الذي لا يتمكن شهادته أبداً، وأوسطه اللام الذي من شق اللهاة والفم وهو غيب يمكن ظهوره وشهادته، وآخره الفاء الشفوي الذي هو شهادة محضة، فالألف بارز من غيب الغيب إلى الشهادة، واللام محله عالم الغيب وله الولوج في عالم غيب الغيب للألفية التي في وسطه، فكما أن الظهور في عالم الشهادة للميمية التي في آخره، وهي شفوية شهادة عالم ابتدائه، وغيب الغيب عالم انتهائه، والميم شهادي الابتداء غيبي التوسط شهادي الانتهاء، والباء أوله من عالم الغيب وآخره من عالم غيب الغيب ليس له عن محله مخرج ولا وراءه مرمى، فانظر إلى الله الجامع لما خرج من غيب الغيب إلى الغيب وظهر من الغيب إلى الشهادة كالألف، ولما برز من الغيب البرزخي إلى عالم الشهادة كاللام، ولما ولج من عالم الشهادة إلى الغيب البرزخي إلى مركزه في عالم الشهادة كالميم، ولما نظر من عالم الغيب إلى غيب الغيب كالباء، ولم يزل في عالم الغيب كالهاء، فهذا كله هو عين ذات الله وهو حقيقة الألوهية إذ الألوهية مرتبة الحيطة، فافهم وانظر ما أعجب تداخل أمر هذا الاسم في العوالم بعضه ببعض وما أعجب هيئته، ولو وسعنا الكلام فيه لضاق عنه المجال وليس هذا المختصر محلاً لذلك.

واعلم: أن العالم الذي كنينا عنه بغيب الغيب هو تفصيل كمال الذات الإلٰهية، ودركه غير ممكن البتة، والعالم الذي كنينا عنه بالغيب البرزخي وهو عالم الغيب اللاهوتي المستحق رحمانه أن يسمى بالأسماء الحسنى، والعالم الشهادي هو عالم الملك وأعني بعالم الملك كلما حواه العرش من روح وجسد ومعنى، فافهم واعلم سر هذه الجمعية التي لاسم الله وكيف ظهر على صورة مسماه.

واعلم: أن الذات المطلقة لها الإحاطة على الله ولكن الله من الذات له الأفضلية عليها لأن كثيراً من وجوه الذات ما هي الله وليس لها شيء من الألوهية، وكل وجه من الله هو الذات بكماله. هذا على تعقل عدم التقسيم بين الله وبين الذات، وإياك أن تتخيل أني عددت أو قسمت أو عطلت أو شبهت أو جسمت أنا بريء من هذا التخيل الباطل، بل فهمك قصر عن درك ما قلته والعياذ بالله إن كنت فهماً وليست لك قابلية الألوهية وعلمها، نعوذ بالله من ذلك ونستعين به عليه أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسلك بنا فيه طريقه المستقيم الذي يسلك هو منه إليه.

فصل: والعرش هو العالم الكبير وهو محل استواء الرحمٰن، والإنسان هو العالم الصغير وهو محل استواء الله لأنه خلق آدم على صورته، فانظر إلى هذا العالم الصغير اللطيف الإنساني كيف له الفضل والشرف على هذا العالم الكبير وتأمل كيف صغر الكبير وكبر الصغير وكل في محله ومرتبته فلو عرفت هذا السر لعرفت معنى قوله: «وسعني قلب عبدي المؤمن»[(١)]. وأما قوله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[(٢)]. فالظاهر أنه ما وسعه في ذلك الوقت إلا الله وكم من نبي مرسل وملك مقرب وعارف ولي قد وسع العرش الذي هو العالم الكبير بأجمعه وما أحس به ولا بالى فظهر عظم هذه اللطيفة الإنسانية وشرفها وفضلها على العالم الكبير، وبان أنه العالم الكبير كالنقطة للمحيط فإن المحيط ولو كبرت هيئته مركب على تلك النقطة ومنها وللنقطة إلى كل جزء من الدائرة نسب مخصوص تفضل على الدائرة بما يختص به بعد ذلك من عدم التعدد في نفسها وغير ذلك من الخصائص، فالنقطة هو اسم الله والمحيط هو اسم الرحمٰن قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد بينا لك أن النقطة لها إلى كل جزء من أجزاء الدائرة نسب وإضافات ولا شك أن تلك النسب والإضافات جميعها للدائرة أيضاً فأياً ما منها نسب إليه هذه النسب والإضافات كان مستحقاً لها كما أن الأسماء الحسنى جميعها إن سميت ووصفت بها اسم الله كانت له وليس للرحمٰن إلا وجه من وجوه الله ظهرا فيه كما تستحقه المرتبة الرحمانية كما أن الدائرة ليست إلا عين النقطة لظهور النقطة في كل جزء منها، فما ثم في الدائرة إلا النقطة.

واعلم أن الرحمٰن فعلان وهذه الصفة متى كانت في اسم صفة كانت لعموم ذلك الوصف في المحل المتصف به، ولدلالة شدة ظهور ذلك الوصف في الموصوف به، ولهذا كان اسمه الرحمٰن عاماً ظاهراً في الدنيا والآخرة، بخلاف اسمه الرحيم فإن الرحمة في الآخرة أشد ظهور من الدنيا لحديث **«إن لله مائة رحمة فواحدة في الدنيا بين الخلق بها يتواصلون وبها يتراحمون وتسعة وتسعون في الآخرة مدخرة عند الله لا يخرجها إلا في يوم القيامة»**[(٣)]، وسر اسمه الرحيم انتهاء إلى الله ورجوع

---

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٤) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢١٥٧) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، حديث رقم (١٩ ـ ٢٧٥٢). ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (١٠٨١٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلقية إلى الحقية. وإن يخرجها إلى ربك المنتهى. إلى الله تصير الأمور: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

تعالوا بنا حتى نعود كما كنا ... فما عهدنا خنتم ولا عهدكم خُنَّا
ونترك وشياً والوشاة وطائراً ... غراباً لوقع البين في ربعنا غَنَّا
ونطوي بساط العتب والحب والجفا ... ونرمي السوى والبين ليت السوى يفنَى
عسى أن يعود الشمل والحي مثل ما ... عهدنا وعود الوصل أثماره تجنَى
وينشد حادي الحال عني مترجماً ... ألا لا أعاد الله بيتاً نأى عنَّا
أأحبابنا طيبوا فلم يك ما مضى ... سوى حلم كاللفظ ليس له معنى
فلا طال هجران ولا ثم عازل ... ولا سهر المشتاق ليلاً وقد حنَّا
ولا كان ما قلتم ولا كان ما قلنا ... ولا بنتم عنَّا ولا عنكم بنَّا

تَمَّ الكتاب «الكهف والرقيم»

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً برحمتك يا أرحم الراحمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com